معهد الدين القيم

بإشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس أصول السُّنَّة

شرح الشيخ محمود الراعوش حفظه الله

الدرس رقم (9)

التاريخ: الاثنين 15/جمادى الأول/1440 هـ

21/كانون الثاني/2019 م

عنوان هذا الدرس

(الإيمان بالشفاعة، وبخروج المسيح الدجال، وبنزول عيسى عليه السلام، وأن الإيمان قول وعمل ونية يزيد وينقص)

ملخص الدرس التاسع:

اشتمل هذا الدرس على المواضيع الآتية:

1. -الأصل الرابع عشر: الإيمان بالشفاعة.
2. -الأصل الخامس عشر: نؤمن بخروج المسيح الدجال.
3. -الأصل السادس عشر: نؤمن بنزول عيسى عليه السلام من السماء.
4. -الأصل السابع عشر: تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة، وعند الخوارج، وعند المرجئة

○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●

الدرس التاسع من شرح أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه، أما بعد..

فهذا هو **الدرس التاسع** من دروس شرح أصول السنة.

الأصل الرابع عشر

قال المؤلف رحمه الله: **"وَالْإِيمَانُ بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَبِقَوْمٍ يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ بَعْدَمَا احْتَرَقُوا وَصَارُوا فَحْمًا، فَيُؤْمَرُ بِهِمْ إِلَى نَهْرٍ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ كَمَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ، كَيْفَ شَاءَ اللَّهُ وَكَمَا شَاءَ، إِنَّمَا هُوَ الْإِيمَانُ بِهِ وَالتَّصْدِيقُ بِهِ".**

هذا هو الأصل الرابع عشر من أصول هذه الرسالة وهو الإيمان بالشفاعة، شفاعة النبي ﷺ، وشفاعة الملائكة، وشفاعة المؤمنين.

وهذا الأصل من خصال السنة التي من أنكرها فليس من اهل السنة والجماعة.

والشفاعة أنواع، نذكر منها أربعة:

1- **الشفاعة الأولى: الشفاعة الكبرى: وهي المقام المحمود،**

وهذه خاصة بالنبي ﷺ؛ وذلك أن النبي ﷺ يشفع لجميع أهل الموقف يوم القيامة؛ المؤمن والكافر، حتى يعجّل الله الحساب للخلق ويأذن به، وذلك عندما يشتد الكرب وتدنو الشمس ويطول الوقوف بلا ظل ولا طعام ولا شراب ولا ثياب، الناس حفاة عراة غرلا، غارقون في عرقهم لا يملكون شيئا، فيطول بهم القيام ويشتد عليهم الكرب، فيذهبون إلى الأنبياء حتى يشفعوا لهم عند الله، لأن الأنبياء عليهم السلام هم أفضل خلق الله،

فيذهبون إلى **آدم** ثم إلى **نوح** ثم إلى **إبراهيم** ثم إلى **موسى** ثم إلى **عيسى** عليهم الصلاة والسلام أجمعين، فيعتذرون جميعهم، وكلهم يقولون: " نفسي نفسي"، ويقولون: "لستُ لها "،

ثم يذهبون إلى **محمد** ﷺ فيقول: " أنا لها "،

ثم يذهب عليه السلام فيسجد تحت العرش لله تبارك وتعالى، ويدعوه بأدعية لم يكن يعلمها من قبل حتى يأذن الله له بالشفاعة، فلا يشفع أحد عنده سبحانه إلا بإذنه، فيقال له: "يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّع " فيشفعه الله،

وهذا هو المقام المحمود الذي تحمده عليه جميع الخلائق، جاء هذا في أحاديث صحيحة في الصحيحين عن ابي هريرة وعن انس رضي الله عنهم، وغيرهم من الصحابة.[1]

وهذه الشفاعة .الشفاعة الكبرى .لا ينكرها أحد من أهل القبلة، يؤمن بها أهل السنة وأهل البدع.

2- **الشفاعة الثانية: شفاعته عليه الصلاة والسلام لأهل الجنة أن يدخلوا الجنة:**

وهذه أيضا خاصة بمحمد ﷺ، فلا تُفتح الجنة الا له، قال عليه الصلاة والسلام: «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا»[2]

وقال عليه الصلاة والسلام: " آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ "أخرجه مسلم ١٩٧

3- **الشفاعة الثالثة: شفاعة النبي ﷺ في عمه أبي طالب أن يخفف عنه العذاب؛ لا أن يخرج من النار:**

لأن المشرك لا يخرج من النار ولا يدخل الجنة، وهذه الشفاعة خاصة بالنبي عليه الصلاة والسلام.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ، وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ، فَقَالَ: «لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ»[3]

فعذاب أبي طالب أخف عذاب أهل النار بشفاعة رسول الله ﷺ فيه.

---

[1] (حديث أبي هريرة عند البخاري ٣٣٤٠، ٤٧١٢، ومسلم ١٩٤) (وحديث أنس عند البخاري ٧٥١٠، ومسلم ١٩٣)

[2] (أخرجه مسلم ١٩٦) .

[3] متفق عليه(البخاري ٣٨٨٥ ومسلم ٢١٠) .

4- الشفاعة الرابعة: شفاعته ﷺ في عصاة الموحدين فيخرجهم من النار:

وهذه ليست خاصة بالنبي عليه الصلاة والسلام، بل له وللملائكة وللمؤمنين، وهذه الشفاعة أنكرها الخوارج والمعتزلة مع أن أحاديثها متواترة، ولكن ردوها بناء على أصلهم الفاسد؛ وهو أن صاحب الكبيرة يخلَّد في النار، ولذلك ذكرها الإمام أحمد في رسالته هذه، فقال رحمه الله:

"وَبِقَوْمٍ يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ بَعْدَمَا احْتَرَقُوا وَصَارُوا فَحْمًا، فَيُؤْمَرُ بِهِمْ إِلَى نَهْرٍ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ كَمَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ".

ذكر الإمام أحمد هذه الشفاعة خصوصاً ولم يذكر غيرها لأن الوعيدية أنكروها، واستدل عليهم بالسنة فقال: " كَمَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ"، وهذا الأثر هو حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في الصحيحين وغيرهما، قال: قال رسول الله ﷺ: " أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ – أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ – فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ "متفق عليه[1]

قوله: (أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا)

أي: المخلّدون فيها وهم المشركون، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ.

فالمشركون هم أهل النار، لا يخرجون منها، ولا يموتون فيها، ولا يحيون، أما الموحدون فيعذَّبون فيها الى ما يشاء الله عز وجل، ثم يموتون فيها وذلك قوله:

"فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً "، فهذا دليل على أن عُصاة الموحدين يموتون في النار بعد أن يعذَّبوا بذنوبهم.

قال: " حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ"

أي: يخرجون من النار ويُحمَلون كالمتاع جماعات جماعات.

قال: " فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ "

[1] (البخاري ٦٥٦٠ ومسلم ١٨٥)

أي؛ ينبتون مثل الحِبّة في سرعة نموها وضعفها،

والحِبّة؛ هي الحبوب التي تنبت وتنمو على ضفاف السيول، فينبتون بسرعة ويكونون ضعافا كما تنبت الحِبّة على طرف السيل بسرعة وتكون ضعيفة.

هذا الحديث متفق عليه في الصحيحين، نؤمن به ونصدق به ولا نخوض في كيفية ذلك بعقولنا، ولا نعترض على ذلك بآرائنا.

والخوارج والمعتزلة يسميهم أهل العلم: "الوعيدية"، لأنهم أخذوا بنصوص الوعيد وتركوا نصوص الشفاعة والرجاء والرحمة والمغفرة والعفو، أغلقوا عيونهم عن هذه النصوص وقالوا: عُصاة المسلمين أصحاب الكبائر لا يخرجون من النار؛ هذه عقيدتهم. فأنكروا آيات وأحاديث الشفاعة واستدلوا بالآيات التي فيها نفي الشفاعة، كقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨] وهذا الحكم خاص بالكفار، الذين لا تنفعهم شفاعة الشافعين، أما الموحدون فتنفعهم شفاعة الشافعين.

وهذه الآية نفسها يدل لفظها على أن الشفاعة تنفع غيرهم لأنه قال: ﴿فما تنفعهم﴾ أي: المشركين، دل على أن الشفاعة تنفع غيرهم أي تنفع الموحدين العصاة.

وذلك أن الشفاعة منفية عن الكفار في كتاب الله ومثبتة للموحدين، الشفاعة للموحدين ثابتة في أحاديث متواترة وآيات محكمة، وأهل السنة والجماعة متفقون على هذا والحمد لله، ولكن لا تكون الشفاعة إلا بإذن الله ورضاه؛

- إذنه للشافع،
- ورضاه عن الشافع،
- ورضاه عن المشفوع له،

هذه ثلاثة شروط اجتمعت في آية "النجم" فقال عز وجل: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ [النجم: ٢٦]

فذكر الإذن والرضا: الإذن للشافع، والرضا عن الشافع، والمشفوع له.

الأصل الخامس عشر والسادس عشر

ثم قال المؤلف رحمه الله:

" وَالْإِيمَانُ أَنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ خَارِجٌ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، وَالْأَحَادِيثُ الَّتِي جَاءَتْ فِيهِ، وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ ذَلِكَ كَائِنٌ، وَأَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عليه السلام يَنْزِلُ فَيَقْتُلُهُ بِبَابِ لُدٍّ"

اشتملت هذه الجملة من أصول السنة على أصلين؛ الخامس عشر والسادس عشر:

الأصل **الخامس عشر** هو:

الإيمان بخروج الدجال آخر الزمان.

والأصل **السادس عشر**:

هو **الإيمان بنزول عيسى بن مريم عليه السلام آخر الزمان وأنه يقتل الدجال.**

وهاتان علامتان من علامات الساعة الكبرى، وعلامات الساعة الكبرى لم يظهر منها شيء بعد على الراجح.

في آخر الزمان تمتلئ الأرض جورا وفسادا وكفرا، فيخرج المهدي ويحكم الأرض على منهاج الخلافة الراشدة، واسمه "**محمد بن عبد الله**"، اسمه كاسم النبي ﷺ، وهو من آل البيت، يحكم الأرض على الخلافة الراشدة،

ثم يخرج الدجال في زمنه فلا يقدر عليه المهدي، ويحكم الدجال في الأرض وهو فتنة عظيمة جدا،

ثم ينزل عيسى عليه السلام فيقتله، ويحكم عيسى عليه السلام الأرض بشريعة محمد عليه السلام، ثم تظهر يأجوج ومأجوج-قبيلتان كافرتان - فلا يقدر عليهم عيسى عليه السلام، فيحكمون الأرض ويعيثون فيها فسادا، فيقتلهم الله عز وجل، ويعود الحكم لعيسى عليه السلام،

ثم يموت عيسى عليه السلام، ثم تتوالى علامات الساعة الكبرى ويموت خيار الناس ويبقى شرارهم، وعليهم تقوم الساعة.

هذا كله من الغيب، نؤمن أنه سيقع، ونصدق به لأن الصادق المصدوق أخبر به.

وأنكر أهل البدع خروج المهدي وخروج الدجال، وأحاديث الدجال في الصحيحين وغيرهما وقال بعض العلماء إنها متواترة ، والدجال رجل كافر من بني آدم ويلقّب بالمسيح الدجال، المسيح؛ لأنه ممسوح العين اليمنى، والدجال؛ أي الكذاب، فإنه يدّعي أنه نبي، ثم يدّعي الربوبية، مكتوب بين عينيه(كافر) ، يقرؤه كل مؤمن ولو كان أميّا لا يحسن القراءة، وقد جعله الله عز وجل فتنة للناس، أي اختبارا لإيمان الناس ممن يدركونه.

ومن فتنته أمور خارقة تحدث، منها أن معه جنة وارا، فجنته نار وناره جنة، يَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ، يمر بِالْخَرِبَةِ، فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ،

من آمن به عاش في رغد العيش، ومن كفر به عاش في فقر شديد، وهذا من فتنته.

ومن فتنته أنه يسلَّط على رجل مؤمن يدعوه إلى الإيمان به، فيكفر به، ويقول له: أنت المسيح الكذاب، فيشقه نصفين ويمشي بين شقّيه،

ثم يأمره أن يقوم فيستوي الرجل قائما، ويقول له أتؤمن بي؟

فيقول: ما ازددتُ بك إلا بصيرة، فيذهب ليقتله مرة أخرى فلا يستطيع ذلك،

فيؤخذ بيديه ورجليه فيلقى في نار الدجال، فَيَحْسِبُ النَّاسُ أَنَّمَا قَذَفَهُ إِلَى النَّارِ، وَإِنَّمَا أُلْقِيَ فِي الْجَنَّةِ، فهذا الرجل هو أعظم الناس شهادة عند الله تبارك وتعالى.

ومن فتنته أنه يجوب الأرض بسرعة الريح، إلا مكة والمدينة فلا يدخلهما، فترجف المدينة ثلاث رجفات فيخرج منها كل كافر ومنافق ومنافقة ويتبعونه ولا يبقى في المدينة الا المؤمنون،

ويمكث الدجال في الأرض أربعين يوما، يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كأسبوع وسائر أيامه كأيامنا،

وبينما هو يعيث في الأرض فسادا يأذن الله تبارك وتعالى بنزول عيسى عليه السلام من السماء، ينزل عند المنارة الشرقية قرب دمشق فيهرب الدجال منه ويذوب كما يذوب الملح في الماء،

فيدركه عيسى عليه السلام في اللد وهي مدينة في فلسطين معروفة فيقتله عند بابها.

وفتنة الدجال أعظم فتنة على وجه الأرض، ولذلك حذّر النبي ﷺ منه كثيرا وأمَرنا أن نبتعد عنه إذا سمعنا به،

وأمَرنا أن نستعيذ بالله من فتنته في كل صلاة، وأنكَره العقلانيون قديما وحديثا، وأحاديث

خروجه متواترة، وأهل السنة والجماعة أجمعوا على خروج الدجال في آخر الزمان، نؤمن بذلك ونصدق به.[1]

الأصل السابع عشر

ثم قال رحمه الله:

(وَالْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ يَزِيدُ وَيَنْقُص كما جاء في الخبر: "أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلقًا"، و"من تَرْكُ الصَّلَاة فقدِ كُفْر"، و"لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْأَعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ إِلَّا الصَّلَاة"، مَنْ تَرَكَهَا فَهُوَ كَافِرٌ وَقَدَ حَلَّ قَتْلُهُ) .

هذا هو الأصل **السابع عشر** من أصول هذه الرسالة؛

وهو أصل عظيم ينبني عليه الفرق بين أهل السنة من جهة وبين الخوارج والمعتزلة والمرجئة من جهة أخرى؛ أي في مسألة الإيمان.

وعرّف المؤلف رحمه الله الإيمان عند أهل السنة والجماعة فقال: **"والإيمان قول وعمل يزيد وينقص "**

قوله: **" قول وعمل "** أي؛ قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح.

هذا هو المراد بقوله: "قول وعمل".

- قول القلب: تصديقه.
- وقول اللسان: الشهادتان، وغيرهما من الأقوال كالذكر والأمر والنهي.
- وعمل القلب: الاعتقاد، ويشمل النية، والإخلاص، وأركان الإيمان، وأمور الغيب، وما يقوم في القلب من خوف ورجاء ورغبة ورهبة وتوكل ومحبة، وغير ذلك من أعمال القلوب.
- وعمل الجوارح: أي العمل بالأركان الظاهرة، كالأركان الخمسة وغيرها من الأعمال كإماطة الأذى عن الطريق، وهذه أدناها، فإن كل ما يُفعل بالجوارح الظاهرة هو من الإيمان.

هذا الذي ذكرته توضيح للألفاظ التي وردت في تعريف الإمام أحمد للإيمان.

[1] انظر صحيح البخاري الأحاديث من (٧١٢٢ إلى٧١٣٤) وصحيح مسلم الأحاديث من ٢٩٣٣ إلى ٢٩٤٥)

وخلاصة ذلك نقول:

إن تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة هو:

(اعتقاد وقول وعمل، ويزيد وينقص) .

احفظوا هذا جيدا.

والمقصود بقولنا:

- (**اعتقاد**) : أي اعتقاد القلب.
- (**قول**) ؛ أي قول اللسان بالشهادتين فما دونهما.
- (**عمل**) ؛ أي عمل الجوارح.
- (**يزيد**) ؛ أي يزيد بالطاعة.
- (**ينقص**) ؛ أي ينقص بالعصيان.

إذن:

- فالإيمان عند "أهل السنة والجماعة" هو: (اعتقاد وقول وعمل ويزيد وينقص) .
- والإيمان عند "الخوارج" هو: (اعتقاد وقول وعمل ولا يزيد ولا ينقص) .
- والإيمان عند "أكثر المرجئة" هو: (اعتقاد وقول فقط ولا يزيد ولا ينقص) .

فالعمل عند المرجئة ليس من الإيمان وايضا لا يزيد ولا ينقص.

والعمل عند الخوارج من الإيمان لكنه عندهم لا يزيد ولا ينقص.

فمن خلال هذه التعريفات تستطيع وحدك أن تقارن بين الإيمان عند أهل السنة والإيمان عند الخوارج، وكذلك تقارن بين الإيمان عند أهل السنة والإيمان عند المرجئة، وكذلك تستطيع أن تقارن بين قول الخوارج والمرجئة في الإيمان.

وأريد أن أقف قليلا عند هذه النقطة الأخيرة؛ وهي المقارنة بين قول الخوارج والمرجئة في الإيمان.

فنجد أن الخوارج والمرجئة قد اتفقوا على أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، أي جعلوه شيئا واحدا لا يتجزأ، لكنهم ورغم اتفاقهم على هذا القول فإنهم اختلفوا في معنى هذا القول على طرفي نقيض، لأن أصولهم فاسدة.

- **أما الخوارج**: فقالوا إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وقالوا العمل من الإيمان، فإذا ذهب شيء من العمل ذهب الإيمان كله لأنه لا يتجزأ عندهم، فمن وقع في كبيرة واحدة لا يقولون "نقص إيمانه" بل يقولون "ذهب إيمانه كله" لأن الإيمان عندهم شيء واحد لا يتجزأ، فإذا ذهب بعض إيمانه ذهب إيمانه كله، أي يخرج من الإسلام بالكلية، ولذلك كفّروا مرتكب الكبيرة.

- **أما أهل السنة**: فيقولون عن مرتكب الكبيرة: "نقَص إيمانه" ما لم تكن الكبيرة كفرا في ذاتها كالذبح لغير الله مثلا،

أما الكبائر التي هي دون الكفر الأكبر يقولون: "نقص إيمانه"، ولا يكفّرون بترك عمل من الأعمال الا الصلاة على خلاف بينهم كما سيأتي من كلام الإمام أحمد وغيره من السلف.

وبهذا يتبين لنا أهمية قول السلف: "الإيمان يزيد وينقص"، هذا قيد مهم جدا في تعريف الإيمان، فهذا حد فاصل بيننا وبين الخوارج ويترتب عليه عدم التكفير بالمعصية عند أهل السنة، فإن التكفير بالمعصية مذهب الخوارج الفاسد الذي بسببه استحلّوا الدماء المعصومة، وفارقوا سبيل المؤمنين وصاروا كلاب أهل النار والعياذ بالله.

- **أما المرجئة**: فقالوا: "الإيمان لا يزيد ولا ينقص" ولكنه لا يتأثر بالمعاصي عندهم، لأن العمل عندهم ليس من الإيمان، فمن ترك جميع الأعمال فهو عندهم مؤمن كامل الإيمان لا فرق بينه وبين جبريل في قوة الإيمان، وهذا قول ظاهر البطلان.

والحق أن العمل من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص، هذا هو أهم ما يميز أهل السنة عن المرجئة.

فالعمل من الإيمان عند أهل السنة، والمرجئة يقولون العمل ليس من الإيمان، والإيمان يزيد وينقص عند أهل السنة، والمرجئة يقولون لا يزيد ولا ينقص.

والآن نريد أن نذكر الأدلة على أن الإيمان يزيد وينقص، وأن العمل من الإيمان.

والأدلة على ذلك كثيرة جدًا منها:

1- الدليل على زيادة الإيمان قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

والآيات كثيرة في كتاب الله التي فيها زيادة الإيمان.

2-والدليل على نقصانه قول النبي ﷺ: "ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: «أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ»[1]

أي نقص إيمانهم حتى لم يبق منه إلا مثقال حبة من خردل.

3- وقال ﷺ «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ».[2] أي أقل مراتبه.

4- والدليل على أن العمل من الإيمان حديث "شعب الإيمان":

وهو حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ – أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ – شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»[3]

والشاهد قوله: "وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ" هذا عمل، وهو من الإيمان مع أنه عمل قليل، فما فوقه من الأعمال داخل في الإيمان من باب أولى، فهذا يدل على أن أعمال الجوارح من الإيمان.

واستدل بعض العلماء بهذا الحديث على أن الإيمان يزيد وينقص، وهو قوله "أفضلها وأدناها" هذا يعني أن الإيمان يتفاوت ويتفاضل، أي يزيد وينقص، فليس أجر من قال "لا إله إلا الله" كأجر من أماط الأذى عن الطريق، فالإيمان عند هذا أقوى من الإيمان عند هذا.

---

[1] (أخرجه البخاري ٢٢ ومسلم ١٨٤)

[2] (مسلم ٤٩)

[3] وهو متفق عليه في الصحيحين وغيرهما: البخاري ٩، ومسلم ٣٥، وأحمد ٨٩٢٦، والترمذي ٢٦١٤، والنسائي ٥٠٠٥، وابن ماجه ٥٧، وابن حبان ١٦٦.

إذن فالحديث دليل على أن الإيمان يتفاوت من شخص الى آخر، وأيضا يتفاوت عند الشخص نفسه من وقت لآخر ومن حال لحال.

وفي هذا الحديث دليل على أن الإيمان قول وعمل واعتقاد:

- (لا إله إلا الله) قول واعتقاد.

لأن (لا إله إلا الله) يشترط فيها القول، ويشترط فيها الاعتقاد، من التصديق والقبول وغير ذلك من الشروط الثمانية المعروفة في كلمة (لا إله إلا الله) . . . . [في الحاشية] [1].

- و(إماطة الأذى عن الطريق) هذا عمل بالجوارح، وهو عمل قليل وهو من الإيمان فما فوقه من الأعمال داخل في الإيمان من باب أولى.

- و(الحياء) هذا اعتقاد لأنه عمل قلبي.

فالخلاصة أن هذا الحديث اشتمل على الاعتقاد والقول والعمل وأن الإيمان يزيد وينقص:

فقوله: (**أفضلها قول لا إله إلا الله**) هذا قول واعتقاد.

وقوله: (**وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**) هذا عمل.

وقوله: (**والحياء شعبة من الإيمان**) هذا اعتقاد.

وقوله (**أفضلها**) هذا أعلى الإيمان.

وقوله (**أدناها**) هذا أقل الإيمان.

ففيه أعلى وأدنى، أي زيادة ونقصان.

5- واستدل المؤلف رحمه الله على أن الإيمان يزيد وينقص بما جاء في الخبر «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا». [2]

ويستدل به من وجهين:

- **الوجه الأول**: يدل هذا الحديث على أن الإيمان يتفاوت، أي يزيد وينقص، لأنه يكون ناقصا عند سيء الخلق ويكون كاملا عند حسن الخلق، فقال " أكمل المؤمنين إيمانا "

[1] «تجد هذه الشروط في "الدروس المهمة لعامة الأمة "للشيخ ابن باز رحمه الله»

[2] (رواه أبو داود ٤٦٨٢ والترمذي ١١٦٢ وصححه الألباني) .

هذا إيمانه كامل، وهناك إيمان ناقص بحسب الخلق، فإذا كان المسلم حسن الخلق ازداد إيمانه، وإذا ساء خلقه نقص إيمانه.

- **الوجه الثاني**: حسن الخلق لا شك أنه من الأعمال، فالحديث يدل على الأعمال من الإيمان، يكون الإنسان حسن الخلق بقوله أو بفعله فهذا دليل على أن الأعمال من الإيمان.

6- ومن الأدلة على أن العمل من الإيمان ويزيد وينقص :

قوله تعالى في سورة البينة: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة: ٥]

والشاهد قوله: ﴿ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ﴾ ؛ فجعل الله تعالى الصلاة والزكاة من دين القيمة فهي من الإيمان، والصلاة والزكاة أعمال ظاهرة، فهذا يدل على أن العمل من الإيمان.

كما وأن الصلاة والزكاة تتفاوت من شخص لآخر، وتتفاوت عند الشخص الواحد من حال إلى حال، دل هذا على زيادة الإيمان عند من كمّلها ونقصانه عند من نقصها.

7- قال الله عزوجل: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ [البقرة: ١٤٣]

أي؛ لن يضيع صلاتهم التي صلوها باتجاه بيت المقدس قبل تحويل القبلة، فسمى الصلاة إيماناً والصلاة عمل، فدل على أن العمل من الإيمان.

8- قول النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ»"[1]

ومَعْنَاه: لَا يَفْعَلُ هَذِهِ الْمَعَاصِي وَهُوَ كَامِلُ الْإِيمَانِ.

فدل بوضوح على نقصان إيمان الزاني وشارب الخمر والسارق، فإذا تاب وكف عن المعصية رجع إليه إيمانه وزاد إيمانه.

[1] متفق: البخاري ٢٤٧٥ ومسلم ٥٧.

فهذه الأدلة فيها رد على كل من **الخوارج والمرجئة**:

- فيها إثبات أن الأعمال من الإيمان؛ وهذا رد على المرجئة.
- وفيها إثبات أن الإيمان يزيد وينقص؛ وهذا رد على الخوارج والمرجئة معاً.

والمرجئة طوائف متعددة:

- منهم من قال الإيمان اعتقاد وقول فقط؛ وهذا قول أكثرهم.
- ومنهم من قال الإيمان؛ التصديق بالقلب، يعني ولو لم ينطق بالشهادتين.
- ومنهم من قال الإيمان؛ المعرفة، يعني ولو لم يصدق، مجرد أنه عرف فهو مؤمن، وهذا قول الجهمية وهو قول رديء يترتب عليه أن إبليس مؤمن كامل الإيمان لأنه يعرف ربه، بل يترتب عليه أنه لا يوجد كافر مطلقا، نعوذ بالله من الضلال.

والمرجئة متفقون جميعهم على أن الأعمال ليست من الإيمان، هذا الذي يجمع جميع المرجئة، الأعمال عندهم ليست من الإيمان، فأخرَجوا العمل من الإيمان وأخّروه عن الإيمان، لذلك سُمّوا مرجئة من "**الإرجاء**" وهو "**التأخير**".

وهكذا فإننا نلاحظ أن الخوارج والمرجئة على طرفي نقيض، وأن أهل السنة وسط بينهم:

- الخوارج جعلوا العمل من الإيمان وهذا حق لكنهم قالوا هو شيء واحد لا يزيد ولا ينقص،

يعني إذا ذهب بعضه ذهب كله، فكفّروا من ترك عملاً واحداً، كفّروا بالمعاصي وهذا باطل، والدليل على بطلانه ما تقدم من أدلة،

وأيضاً الدليل على بطلانه إقامة الحدود، فلو كان شارب الخمر والسارق والقاذف والزاني؛ لو كانوا كفاراً لما أُقيم عليهم الحد، ولأُقيم عليهم حد الردّة وهو القتل.

- والمرجئة قالوا العمل ليس من الإيمان،

ولذلك قالوا؛ لا يضر مع الإيمان ذنب، هذه عقيدتهم لأن ترك العمل عندهم لا يؤثر في الإيمان، فجعلوا إيمان أفسق الناس مثل إيمان الأنبياء والملائكة.

- واتفق الخوارج والمرجئة على أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص،

ولكنهم على طرفي نقيض في الحكم على من ترك العمل كما تقدم بيانه، الخوارج كفروه بالذنب والمرجئة قالوا لا يضر مع الإيمان ذنب، والحق هو مذهب أهل السنة والجماعة كما تقدم بيانه.

قال المؤلف رحمه الله بعد ذلك: " ومن ترك الصلاة فقد كفر".

من جحد وجوب الصلاة كافر بالإجماع لأنه مكذب بالقرآن.

واختلف أهل السنة في تارك الصلاة تكاسلا وهو مقِرّ بوجوبها.

وصورة الخلاف بين أهل العلم:

- أن جمهور الصحابة على تكفيره،
- وجمهور المتأخرين لا يكفرونه،
- أبو حنيفة ومالك والشافعي لا يكفرونه،
- وأحمد له روايتان والمشهور عنه أنه يكفره وهذا هو الراجح والله تبارك وتعالى أعلم.

والأدلة على تكفيره كثيرة:

1- منها قول النبي ﷺ: «الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ».[1]

قال الذين لا يكفرونه إن المقصود بقوله (فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ) ؛ أي من جحدها فقد كفر،

فقال الذين يكفرونه: من جحد أي شيء من الشريعة يكفر، فلماذا اختص الصلاة بالذكر؟

والجواب أنه ما خصها بالذكر إلا لأن مجرد الترك كفر ولو لم يجحدها. ولذلك عبّر بقوله عليه الصلاة والسلام بكلمة (العهد) ،

ومن المعلوم أن العهد ينتقض بمجرد الترك وليس بالجحود او بالاستحلال.

[1] أخرجه أحمد: ٢٢٩٣٧، والترمذي: ٢٦٢١ وصححه، والنسائي: ٤٦٣، وابن أبي شيبة في "المصنف": ٣٠٣٩٦ وابن ماجة: ١٠٧٩ وصححه الألباني.

2- الدليل الثاني على كفر تارك الصلاة قوله ﷺ: «إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ».[1]

فجعل الصلاة هي الفارق بين المسلم والكافر.

3- وأيضاً من الأدلة قول عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ العُقَيْلِيِّ: «كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ لَا يَرَوْنَ شَيْئًا مِنَ الأَعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلَاةِ»

عبد الله بن شقيق العقيلي تابعي ثقة.

فهذا يبين لك فهم الصحابة للأحاديث التي وردت في تارك الصلاة، وهذا دليل قوي جداً وهذا صحيح عنه، وهو ينقل إجماع الصحابة على أنه كافر أو هو قول جمهور الصحابة على الأقل، ففي ثبوت الإجماع نظر.

ولهذا قال الإمام أحمد: **(وليس من الأعمال شيء تركه كفر الا الصلاة)** ،

فهذا قول الصحابة كما قال عبد الله بن شقيق العقيلي كما سمعتم الآن.

وهذا فيه إبطال لقول الخوارج الرديء؛ وهو التكفير بالمعصية.

فمذهب أهل السنة والجماعة أنه لا شيء من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة، على خلاف بينهم كما سمعتم، لذلك قرر الإمام أحمد أن ترك شيء من الأعمال معصية وليس كفرا إلا الصلاة.

ثم قال: **" وقد أحلّ الله قتله "**

أي أحلّ الله عز وجل قتل تارك الصلاة متعمدا ولو كان مقرّاً بوجوبها، هذا في مذهب الإمام أحمد.

فإن كان تركَها منكِراً لوجوبها؛ فهذا يُقتَل ردة بالإجماع،

وإن كان تركَها تكاسلاً يستتاب، فإن أبى يُقتَل. وأكثر أهل العلم على هذا، لم يخالف فيه من الأئمة الأربعة إلا أبو حنيفة.

[1] أخرجه مسلم٨٢

فالصحيح أنه يستتاب من قبل ولي الأمر، فإن أبى أن يصلي يقتله ولي الأمر،

هذا من أعمال ولي الأمر لا يحل لأحد غيره أن ينفذ الحدود، حتى لا تشيع الفوضى بين المسلمين، ليس ذلك لكل أحد، حتى لا تقع الفوضى في المسلمين، فإذا أقام الحدود كل أحد فإنه من كان بينه وبين أخيه عداوة يقتله ويقول هذا كان تاركا للصلاة، وهذه فوضى، وهذه طريقة الخوارج الذين يقتلون الناس في الشوارع وفي الطرقات.

هذا الأمر من خصائص ولي الأمر، لا يجوز إقامة الحدود الا من قبل ولي الأمر.

هذا والله تعالى أعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

أسئلة الدرس التاسع:

السؤال الأول:

الشفاعة أنواع، ما هو النوع الذي أنكره أهل البدع؟ وبماذا ترد عليهم؟

ج1: أنكروا شفاعة النبي ﷺ والمؤمنين في خروج عصاة الموحدين من النار.

والرد عليهم بحديث أبي سعيد الخدري في الصحيحين، وفيه: "... حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ" البخاري ٦٥٦٠ ومسلم ١٨٥

السؤال الثاني:

أنكر أهل البدع خروج الدجال، من هو الدجال؟ ومتى يخرج؟ ومن يقتله؟ اذكر شيئا من فتنته.

ج2: هو رجل كافر من بني آدم، يدعي الربوبية، أخبر النبي ﷺ أنه أعظم فتنة في هذه الدنيا، وانه خارج زمن المهدي آخر الزمان، فلا يقدر عليه المهدي، بل يقتله عيسى عليه السلام عند باب اللد في فلسطين.

ومن فتنته: أنه من آمن به وصدقه يعيش في رخاء من العيش، ومن كفر به يعيش في فقر وجوع شديدين.

لأنه يأمر السماء أن تمطر وتمسك، ويأمر الأرض أن تخصب وتجدب، وهذه فتنة عظيمة له وللناس.

ويأمر الخربة أن تخرج كنوزها فتتبعه كنوزها كالنحل.

ومن فتنته أنه يقتل رجلا مؤمنا من هذه الأمة فيشقه نصفين، ثم يحييه الله فتنة له وللناس، ثم لا يقدر أن يذبحه، ثم يلقيه في ناره امام الناس وهي في الحقيقة الجنة، وهو أعظم الناس شهادة عند الله.

السؤال الثالث:

عرف الإيمان عند أهل السنة والجماعة، وعند الخوارج، وعند المرجئة.

ج3: الإيمان:

- عند أهل السنة والجماعة هو:

(اعتقاد وقول وعمل ويزيد وينقص) .

- وعند الخوارج هو:

(اعتقاد وقول وعمل، ولا يزيد ولا ينقص) .

- وعند أكثر المرجئةهو:

(اعتقاد وقول فقط، ولا يزيد ولا ينقص) .

السؤال الرابع:

اتفق الخوارج والمرجئة على " أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص".

واتفقت فرق المرجئة على "أن العمل ليس من الإيمان".

اذكر دليلا على:

أ- أن الإيمان يزيد.

ب- وينقص.

ج- وأن العمل من الإيمان.

ج4: أ- الدليل على زيادة الإيمان قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣]

ب- والدليل على نقصانه قول النبي ﷺ: ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: «أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ

مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ" البخاري ٢٢ ومسلم ١٨٤

أي نقص إيمانهم حتى لم يبق منه إلا مثقال حبة من خردل.

ج- والدليل على أن العمل من الإيمان حديث"شعب الإيمان". وهو حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ – أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ – شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»

وهو في الصحيحين وغيرهما:

البخاري ٩، ومسلم ٣٥، وأحمد ٨٩٢٦، والترمذي ٢٦١٤، والنسائي ٥٠٠٥، وابن ماجه ٥٧، وابن حبان ١٦٦.

قوله: "وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ" هذا من الإيمان مع أنه عمل قليل، فما فوقه من الأعمال داخل في الإيمان من باب أولى، فهذا يدل على أن أعمال الجوارح من الإيمان.

- السؤال الخامس:

قال التابعي الجليل عبد الله بن شقيق العقيلي: "لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ يرون شيئا تركه كفر إلا الصلاة ".

ماذا نستنتج من قوله هذا؟

ج5: هذا تابعي كبير؛ أي أدرك عددا كبيرا من الصحابة، فقوله يدل على أمرين:

الأول: أن جمهور الصحابة يكفرون تارك الصلاة ولو كان مقرا بوجوبها.

الثاني: فيه رد على الخوارج الذين يكفرون بالمعاصي، لأن الصحابة لم يكونوا يكفرون على ترك عمل إلا الصلاة.

والحمد لله رب العالمين.